الباب العاشر

الإسلام والمسيحية

* التنافس
* نقد وتباين
* فكرة الثيوقراطية
* الله فى المسيحية والاسلام
* التبشير المسيحى
* النشـــاط التبشيرى فى القرون الماضية
* هل يوجد تقارب ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

الاســلام والمسيحية

ويتضمن :

١ ـ التنـــافس :

شاهدت مسيحية القرون الوسطى على مدى ثلاثة قرون تقدم القوة الاسلامية وانتشار عقيدة المسلمين فى مختلف أقطار الأرض ، فارتفعت فى ذلك الوقت موجات من الكراهية ، اشتد هديرها ، وارتفع غليانها بمقدار ما بينهم من خلافات جوهرية ، فلم يستول الخوف على القلوب فى الجانب المسيحى بسبب تهديد العقيدة فقط ، بل ملأ الحقد القلوب أيضـا بسبب نجاح الاسـلام فى المجلات : السياسـية ، والاقتصادية ، والحضارية ، التى فرضت نفسها على المنطقة كنموذج اسـلامى ..

ظل غضب المسيحيين مكبوتا الى أن انفجر أثناء الحملات الصليبية فسقطت الضحايا من الجانبين ، وكان من بين الضحايا الكثير من صفوة الرجال . فاذا تذكر المرء أن المسيحيين استطاعوا الاستيلاء على الأماكن المسيحية المقدسة فينبغى ألا ينسى أنهم حققوا هذا النصر فى وقت خرج فيه المسلمون من محنة غارات التتار منهكة قواهم ، بعد أن خسروا كثيرا من مقومات حضارتهم ، وفقدوا العديد من العناصر التى كانت تشد أزرهم ، وتقوى جبهتهم . ومع هذا فقد كان للمسلمين آثار بعيدة المدى ، حيث أقام الغرب ـ بعد الحروب الصليبية ـ الكاتدرائيات فخرج من ظلمات القرون الوسطى ، واتخذ طريقه نحو عصر النهضة .

وان من دواعى الفخر للاسلام ـ وهو أمر يحتم علينا الاعتراف بأفضليته ـ أن موقفه تجاه المسيحية ـ فى لقرون الوسطى ـ كان متسما بالسماحة ، اذ لم يحمل أتباعه على التعصب ضـد المسيحيين واضطهادهم ، فبينما القرآن الكريم يخير الكفار بين الايمان أو الموت، يعطى الحرية « لأهل الكتاب » فى اقامة شعائرهم الدينية :

« قاتلوا الذين لا يؤمنـــون بالله ولا باليوم الآخـــر ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(١) .

بينما نرى هذا الموقف المتسامح من المسلمين مع المسيحيين ، تؤكد الأخبار التاريخية أنه لم يكن من الممكن فى القرون الوسطى أن يحتفل المسلمون بأعيادهم احتفالا عاما فى بلد مسيحى دون غضب الكنيسة ، واحتجاج الشعب أو تدخل الحكومة لمنع هذا الاحتفال .

ولم يتخل المسلمون عن سماحتهم الا بعد أن رأوا مواقف المسيحيين المتشددة وشاهدوا التعصب المسيحى الشديد ضد المسلمين فى الحروب الصليبية ، وفيما بعد الحروب التركية .

ساد الاعتقاد فى أوروبا حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادى بأن قتال وابادة الكفار واجب ، ويقصدون بالكفار : المسلمين وأتباع المذاهب المختلفة الأخرى ، لتى تخالف المسيحية ، وبهذا استيقظت أيضا فى بلاد الاسلام بعض القوى « الراديكالية » التى حاولت اجبار « الكفار » على اعتناق الاسلام ، ومارست بعض اجراءات الابادة الوحشية فى الماضى القريب .

٢ — نقد وتباين :

سرد المؤلف فى هذا الباب تبادل النقد والاتهامات بين المسلمين والمسيحيين كما أورد فيه اختلاف الآراء حول بعض المفاهيم ، فبدأ الباب بقوله :

يعترف الاسلام بأن المسيح عليه السلام نبى ، أوحى الله اليه برسالته ليبلغها الى قومه ، ولكن أتباعه غيروا فيها وبدلوا ، والدليل على ذلك — هكذا يقول المسلمون — تعدد الكتب المقدسة ، وكثرة العقائد وتباينها ، والمذاهب واختلافاتها فى أصول العقيدة ، والكنائس وتناحرها ، وهم فى نزاع مستمر وتناحر لا ينقطع . وقد نسخ الاسلام المسيحية ، اذ احتوى على ما فيها من حقائق ، وبين ما فيها من باطل . وبظهور محمد — صلى الله عليه وسلم — آخر الأنبياء — أصبحت المسيحية لاغية . لأن الاسلام — كدين سماوى — حل محلها .

يعتمد دعاة الاسلام فى أفريقيا — حتى يومنا هذا — فى مجال

---

(١) التوبة : ٢٩

خشر دينهم بين الافريقيين على دعوى أن الافريقيين وان اعتنقوا المسيحية ، فهم أيضا بالنسبة للأوروبيين شعوب مستعمرة لا تتساوى فى الحقوق مع أسيادهم الأوروبيين ؛ أما الاسلام فيعاملهم معاملة أخوية ؛ لهم ما لغيرهم من الحقوق وعليهم من الواجبات ما هو مطلوب من غيرهم لا فرق بسبب الجنس ، أو اللون •

أما فى الجانب المسيحى فقد فجرت العداوة التاريخية بين المسيحيين والمسلمين غضبا ؛ دفعهم الى وصف محمد — صلى الله عليه وسلم — بأوصاف لا تليق بوضعه كنبى يؤمن بدعوته الملايين من بنى الانسان ؛ كما هاجموا مفهوم التوحيد عند المسلمين على الرغم من أنهم يدعون أن المسيحية دين توحيد ، واتجهوا الى تصيد كل ما من شأنه أن يحط من قدر الاسلام فى نظر الناس ، ومنها — على سبيل المثال — نظرة الاسلام للمرأة ؛ فقد حاول المسيحيون افهام الأوروبيين على أن الاسلام قد حط من قدرها الى درجة أن المسلمين يعاملونها معاملة الرقيق(١) •

---

(١) اتخذ الأوروبيون وضع المرأة فى المجتمع الاسلامى هدفا لهم للنيل من الاسلام ، فزعموا أنه أعطى الرجل الحق فى استعبادها واسترقاقها ، وانها لم تخلق الا لمتعة الرجل وخدمته ، أما الغرب المسيحى فقد أعطاها الحرية ، ومنحها المساواة ، فهى تشاطر الرجل جميع الأنشطة الاجتماعية وتقف معه جنبا الى جنب فى كل مجالات الحياة •

فاذا وضعنا هذه الدعوى على مائدة البحث المحايد ، لتبين لنا أنها غير سليمة ، فمصادر المسيحية الأولى أوحت الى أتباعها بأن المرأة مخلوق ضعيف ، سريع الغواية ، فهى لا تملك القدرة على تنفيذ ما يطلب منها ، اذ تنهار عزيمتها فى أول امتحان ، وكان مصدر هذا للتصوير ما جاء فى العهد القديم حول الخطيئة الأولى ، اذ جاء فى سفر التكوين أن حواء : « أكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل •• فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » (التكوين ٣ : ٦ — ١٢) •

اعتمدت الكنيسة على هذا النص فى حكمها على المرأة بأنها أداة للشيطان فسلبتها آدميتها ، وأهدرت حقوقها كلية فى مقابل للرجل ، ولم يزل وضعها مهينا فى المجتمع حتى جاء عصر النهضة ، فتخلصت المجتمعات الأوروبية من سيطرة الكنيسة ، وترتب على ذلك ظهور الحركات النسائية التى نادت بالمساواة بين الرجل والمرأة ، ورغم ذلك فقد ظلت حقوقها مهضومة فى كثير من المجالات حتى منتصف القرن العشرين ، بل لا زالت آثار عدم معاملتها بالحسنى موجودة فى المجتمع الغربى حتى اليوم اذ تعطى فى بعض الشركات أجرا أقل من زميلها فى نفس العمل ، ولم يسمح لها حتى الآن بمزاولة —

• • • • • • • • • • • •

= بعض الأعمال التى يقوم بها الرجل ، ومنها ـ على سبيل المثال ـ ما شاهدته فى ألمانيا الغربية ، اذ ما زالت قراءة نشرة الأخبار فى الاذاعة والتليفزيون مقصورة على الرجل فقط ، ولم يحدث أن قرأتها امرأة مهما بلغت درجة ثقافتها ٠

أما فى الاسلام فقد برأها القرآن الكريم من تهمة غواية آدم على الأكل من الشجرة ، اذ نسب اليهما معا الوقوع فى الخطيئة ، فقال تعالى :

((**فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**)) (البقرة : ٣٦) ٠٠

بل نصت آية طه على أن الشيطان وسوس الى آدم فقط ، فيقول تبارك وتعالى :

((**فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى**)) (**طه** : ١٢٠ / ١٢١) ٠

ولا شك أن تبرئة القرآن الكريم لها على هذا النحو ، قد رفع السبة التى لحقت بها عبر القرون ، وكانت سببا فى اصدار الكنيسة الحكم عليها بأنها أداة الشيطان ٠

كذلك ساوى الاسلام بينها وبين الرجل فى كل عمل يتفق مع طبيعتها البيولوجية ٠ ولم يجعل أساس النوع سببا فى تفضيل الرجل عليها ، فسوى بينهما فى العبادات ، قال تعالى :

((**فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى**)) (آل عمران : ١٩٥) ٠

وفى الجزاء قال تعالى :

((**ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة**)) (النساء : ١٢٤) ٠٠

((**ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة**)) (غافر : ٤٠) ٠

وأعطاها الحرية فى المعاملات المالية والتجارية ، ولم يحرم عليها عملا الا اذا كان فيه خدش لحيائها ، وتهديد لعفتها وكرامتها ، وقد التزم المسلمون بذلك ، فأعطوها الفرصة فى جميع المجالات ، فكانت أستاذة تلقى العلم فى المجالس والمنتديات ، وراوية حفظت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عنها الكثير من الرجال ، وعاملة ، وباحثة ، وقاضية ، ولاها عمر ابن الخطاب الفصل فى منازعات السوق ٠٠ الخ ٠ ومنحوها حرية التصرف فى أموالها ومستقبلها فى الارتباط بشريك حياتها ٠

فمن يدرك هذا لا يسعه الا أن ينظر الى ما يثيره أعداء الاسلام من زوبعات حول وضع المرأة فى الاسلام نظرة استنكار وسخرية بهذه العقول التى تحجبت عن ادراك الحقيقة الواضحة ٠

وعد الاسلام المؤمنين بجنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ؛ حيث ينعمون فيها بأنواع من الملذات المادية والنعيم المحسوس • ولا توجد هذه الصورة فى المسيحية(١) إذ تصورها للحياة الأخروية قائم على أن

---

(١) ليس المفهوم المادى للجزاء الأخروى اسلامى النوع ، بل هو عنصر مشترك بين جميع الأخلاق الدينية التى تعترف للناس بحياة أخرى ، سوف يجتمع فيها البدن والروح من جديد ، بعد أن يكونا قد انفصلا مؤقتا بالموت ، يجتمعان ليتلقيا معا ثوابا خالدا أو عقابا أبديا •

ولما كان المسيح قد تحدث عن حياة أخرى بعد الموت ، فالمسيحيون يعتقدون بأن الله سيثيب الانسان على ما قدم من عمل صالح ، ويعاقبه على ما اقترف من سيئات ، وليس بلازم أن يكون ذلك فى الدنيا ، فمن لم ينل ثوابه ـ وكذلك من لم يعاقب على ما ارتكب ـ فى الدنيا ، سيأخذه لا محالة يوم الحساب •

فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى والأبرار الى حياة أبدية (متى ٢٥ : ٤٦) •

غير أن علماء العقيدة المسيحية اختلفوا فى تصور كيفية الحياة فى الدار الآخرة :

فيرى فريق أنها ستكون بلا أكل ولا شرب ولا نكاح ، مستدلين بما ورد فى انجيل مرقس ١٢ : ١٨ ـ ٢٥ وعليه فلن يكون هناك نبات ، ولا حيوان اذ خلقهما الله فى الدنيا لسد احتياج الانسان ، فلما انتفت الحاجة لزم عدم اعادة خلقهما ، ويؤلون ما يفيد ذلك •

ويرى جمهورهم أن الحياة الأخرى ستكون مثل الحياة الدنيا ، ففيها أكل وشرب ونكاح •• الخ • وهذه هى القاعدة العامة لدى الكنيسة اذ يعلم آباء الكنيسة وفقهاؤها أتباعهم عقيدة بعث الجسد ، وعقيدة اشتراكه مع الروح فى الجزاء ، وهما عقيدتان ، قائمتين على أساس متين من تعليم السيد المسيح والأناجيل ، فقد قال يسوع لحواريه :

« ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم » (متى ١٠ : ٢٨) •

وقال أيضا :

« يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الاثم ويطرحونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان (متى ١٣ : ٤١ ـ ٤٢) •

وكثيرا ما صور جهنم على أنها

« الى النار التى لا تنطفأ ، حيث دودهم لا يموت ، والنار لا تنطفأ » (مرقس : ٩ : ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٨) •

. . . . . .

= ويصرخ الفتى الخبيث الذى كان يلبس الأرجوان والبز مترفها ولم يكن يتصدق على المسكين « لعاذر » حتى مات جوعا ، يصرخ وهو فى عذاب جهنم قائلا :

« يا أبى ابراهيم ! .. ارحمنى ! وأرسل « لعازر » ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى ،لأنى معذب فى هذا اللهيب » (لوقا ١٦ : ٢٤) .

ونقرأ فى رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى :

«وأما الخائفون، وغير المؤمنين ، والرجسون، والقاتلون، والزناة والسحرة وعبدة الاوثان ، وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت » (٢١ :٨) .

وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تقل شيئا عن طبيعة النار ، فانها تقرر أنها نار واقعية ، لهـا سماتها من اللهب والحر والأوار الذى لا يخمد .. الخ .

ومع أن الاشارة الى الجنة ، كانت أقل ترديدا فى العهد الجديد من موضوع النار ، فانها تحمل كثيرا طابع السعادة الحسية بجانب السعادة الروحية .

ولقد رأينا آنفا توسلات الفتى الخبيث ، يلتمس قليلا من المـاء ليبل لسانه ، ولذلك يقرر يسوع فى أكثر العبارات صراحة وعموما النعيم الحسى :

« وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا ، لتأكلوا ، وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، وتجلسـوا على كرسى تدينون أسـباط اسرائيل الاثنى عشر » (لوقا ٢٢ : ٢٩ ـ ٣٠) .

وقال أيضا للذى دعاه :

« اذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقائك ، ولا اخوتك ، ولا أقربائك ولا الجيران الاغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضا فتكون لك مكافأة ، بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدع ، العرج ، العمى ، فيكون لك الطوبى اذ ليس لهم حتى يكافئوك لأنك تكافأ فى قيامة الأبرار » (لوقا ١٤ : ١٢ ـ ١٤) .

وأكثر من ذلك تحديدا أيضا توله فى آخر اجتماع له مع حوارييه :

« وأقول لكم : انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا فى ملكوت أبى » (متى ٢٦ : ٢٩ ، ومرقس ١٤ : ٢٥ ، ولوقا ٢٢ : ٨) .

بيد أن الجانب الحسى من نعيم الجنة أكثر ظهورا فى رؤيا القديس يوحنا .

« من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله » (٢ : ٧) .

« من يغلب فذلك سيلبس ثيابا بيضاء » (٣ : ٥) ـ « لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شىء من الحر » (٧ : ١٦) وبهذا نتبين خطأ من نفى وجود تصور النعيم الحسى فى الدار الآخرة لدى الكنيسة المسيحية (راجع : بين الاسلام والمسيحية ـ ص ١٢٨ ـ ١٤٠) .

السعادة فيها هى خلود وتنمحى فيه الرغبات والهوى لأنهم يتلذذون برؤية الله سبحانه وتعالى • ولن يكون بعد الحساب خير ولا شر •

يشبه رأى الاسلام فى تقييمه للعالم الدنيوى — الى حد ما — تصور المسيحية لهذا العالم ، فالاسلام يرى أن الدنيا — على الرغم مما فيها من ملذات ونعيم — ليست الا معبرة للآخرة ، فهى دار فناء ، ونهايتها ليست بعيدة • وتربط المسيحية بين الدنيا وبين كثرة الخطايا والآثام ، ولما كانت النواحى الطيبة فيها معدودة ومتفرقة ، فقد حرص الدعاة على ابرازها لتساعد على اجتياز المرحلة الدنيوية بسلام أما المسلم فيعتقد أن تقواه وخشيته لله تفتح له أبواب النعيم فى هذه الأرض •

وبينما يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار ، لأنهم ارتبطوا معه بعهد ، يؤكد القرآن الكريم للمسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس »(١) •

اعتمدت هذه العقيدة على ارادة الله وحده ، الذى أنزل وحيه عليهم . فهم مكلفون بالزود عن هذا الوحى وتطبيق ما جاء فيه • فالعلاقة بين الله والانسان فى الاسلام هى نوع من الالزام والالتزام ، وبتعبير آخر : طاعة وثواب أو معصية وعقاب ، فليس الانسان صورة لله ، ولا يوجد أى تشابه بين السماء والأرض فالله هو الواحد القادر ، المتحكم فى العالم ، وليس كمثله شىء •

تخالف المسيحية هذا الرأى ، فالمسيحى مرتبط مع الله شخصيا فى كنيسته اذ أخذه الله بنفسه — عن طريق ظهوره (أى الله) فى صورة عيسى — الى مجتمع الأرواح المقدسة ، فقربه منه عن هذا الطريق • وهى بهذا التصور تخلع على الانسان صورة الهية ، وتعطيه مكانا غير مرئى فى النظام الالهى ، وهو أمر ينكره الاسلام •

بينما تبدو الكنيسة راعية للنظام الإلهى ، فان الاسلام لا يعترف بطبقة معينة ، مكلفة بالحراسة على تنفيذ أوامر الوحى ، فالكل — بما فيهم أبسط الطبقات فى المجتمع — مكلف بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر • ولا يوجد فيه انفصال بين مجالات دينية ، وأخرى دنيوية ، لأن الله جمعهما فى القرآن الموحى به ليطبق فى الحياة الانسانية • بكل

---

(١) آل عمران : ١١٠

جوانبها • وعلى الرغم من أنه لم يعد فى امكان المسلم العادى اليوم أن يتبين الرأى الصحيح بسبب كثرة آراء المفسرين والفقهاء • فانه لا زال مسموحا له — من الناحية النظرية — أن يحاول بنفسه فهم القرآن ، ويصل الى رأى شخصى فى تفسيره ، اذا توفرت له امكانية البحث والتفسير •

تسبب ادعاء الكنيسة بالهيمنة والسيطرة على مجال الفكر وانفراد رجالها بتفسير الكتاب المقدس فى حدوث ظواهر خطيرة ، ومن أهمها ظاهرة اللامبالاة المدمرة والاتجاه الى التفكير الحر فى العصر الجديث ، مما أحدث انقساما حادا فى المجتمع المسيحى ، أما الاسلام فقد احتفظ بوحدته المتينة ، بفضل شمول التعاليم والقضايا الدينية ، وحق كل مسلم فى الفهم والاستنباط •• ويمضى المؤلف فى شرح وضع المسلم فى المجتمع وعلاقته بالدولة فى المجالات الاجتماعية والثقافية وتحول نظم الحكم فى المجتمع الاسلامى الى تقليد وتطبيق النظم الغربية ، ثم يقول : فبالنسبة للعمل المشترك مع العالم الغربى المسيحى ، فانه يتطلب فصل الجانب الدينى عن المجالات المدنية ، لعملية ، ويمكن على هذا الأساس فقط بناء نظام سياسى اجتماعى حديث • وبناء عليه فقد قامت دعوات فى المجتمع الاسلامى تطالب بالتسامح والتعايش مع كل الناس بصرف النظر عن معتقداتهم وأديانهم •

شهدت المجتمعات الاسلامية تيارات متعددة ، واجراءات حكومية متنوعة وقرارات — صدرت عن مؤتمرات رسمية وشعبية — مختلفة الاتجاهات ، ومتنوعة المصادر • ففى سوريا ألغى النص على أن دين الدولة هو الاسلام ، لأن الأقلية المسيحية عارضته ، أما فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى كراتشى فى عام ١٩٤٩ فقد تقرر أن العدالة الاجتماعية فى الاسلام تحقق للمجتمعات فوائد أكثر مما تبشر به الرأسمالية والشيوعية • وبينما يرى المحافظون أن المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية لا تنفصل عن بعضها فى الاسلام ، ارتفعت أصوات تعارضهم ، وتدعى أن الله لم يوح لنبيه بشىء عن جوهر ونظام الدولة السياسية(١) وكان هدف كل هذه الحركات انشاء علاقة مع النظم

---

(١) يشير بهذا الى رأى الشيخ على عبد الرازق فى كتابه : « الاسلام وأصول الحكم » •

المدنية التى هى أسس الفكر الغربى ، لأنه بهذه الطريقة فقط يمكن قيام نظام اجتماعى مثمر ؛ غير أنه ينبغى أن يرتبط بالعقيدة لأنه لا تأثير له بدونها(١) .

٣ ــ فكرة الثيوقراطية(٢) :

لم يخترع الاسلام فكرة الثيوقراطية ، فقد بلغ أنبياء العهد القديم أقوامهم بأن الله هو الحاكم الأوحد ، ونادى اليهود بأن حكم الله على الأرض مؤكدا .. وتحدث عيسى فى هذا الموضوع ، فأخبر بأن مملكة الله توشك أن تتحقق ، .. وأن الانسان ينبغى أن يحرر نفسه من عالم الخطيئة ، ويسلم أمره لله ، فيدخل فى حمايته ، ومن يفعل ذلك يصبح من عباد الله المصطفين .. ويمضى المؤلف فى بيان أن مملكة الله فى الفكر المسيحى لن تتحقق على هذه الأرض ، بل ستقوم بعد قيام الساعة . غير أن الاسلام بانتصاراته العسكرية والسياسية أعلن قيام حكم مملكة الله فى هذه الدنيا ، ومن هذا المنطلق لم ينفصل الدين عن السياسة فأصبح الجهاد لقيام مملكة الله الدينية ، والدعوة الى دينه تدعيم للسلطة السياسية أيضا ، فهما عنوان لا يختلفان ، أو شىء واحد لا ينفصل الى جزءين متباينين اذ يؤديان الى نتيجة واحدة ، وهدف مشترك ، ألا وهو اعلاء كلمة الله فى الأرض وتطبيق أحكامه على أفراد المجتمع .

قامت علاقة متشابهة فى القرون الوسطى بين الكنيسة والدولة ، غير أنها لم تكن سوى محاولة للتوفيق بين سلطتين متنازعتين اذ تدل الصراعات المتعددة بين القيصر والبابا على أن الكنيسة حاولت أن تخضع القيصر لها ، وكانت هناك أيضا محاولة مضادة من جانب القيصر . وبعد

---

(١) ولهذا يستغل الحكام العاطفة الدينية عند المسلمين ، فيتظاهرون بالدفاع عن الاسلام ــ ويسلكون فى سبيل ذلك أساليب لا ترضى العاطفة الجماهير ــ فى حين أنهم يدفنون بنيانه حجرا حجرا .

(٢) اصطلاح يونانى يطلق ويقصد به « السلطة الالهية » وهى عبارة عن نظام من الحكم تنفرد به الكنيسة فى تسيير دفة شئون الدولة ، بالأهداف الدينية تحتل فيها مكان الصدارة ، ورجال الدين هم أصحاب الأمر والنهى فيها ، ومن أمثلة هذا النوع من الحكم : الدولة اليهودية بعد رجوع اليهود من السبى ، وسلطة الكنيسة الكاثوليكية . ويطلق الآن على كل نظام يتخذ الدين سندا له فى الحكم من زاوية أن قراراته لا تقبل المعارضة ، لأنها تنفيذ لأوامر الله .

هذا الصراع — وعندما تبين أن لعبة شد الحبل هذه لم تصل الى نتيجة فاصلة لأحد الجانبين — اتفق الطرفان على توزيع السلطة بينهما ، والتزم كل بعدم تجاوز حدود سلطاته • ثم حددت النهضة الحديثة مجال كل من الكنيسة والدولة فانفصلتا عن بعضهما انفصالا كليا •

بقيت الثيوقراطية الاسلامية محتفظة بوحدتها ، فلم يصبها ذلك الانفصال الذى حدث فى أوروبا بين الكنيسة والدولة ، لأن الله طبقا للعقيدة الاسلامية هو مصدر كل شىء ، ومن هنا فهو يفرض سلطانه على العالم • وهذه عقيدة يفهمها الانسان البسيط لأنها خالية من التعقيد الذى اشتملت عليه العقيدة المسيحية فى اتجاهها الى أن الله تحمل الألم ليصل بالانسان عن طريق هذا الألم الى السعادة الأخروية •

عارض الاسلام هذا الفهم المسيحى منذ محمد — صلى الله عليه وسلم — معارضة قاطعة . فلم يتعاون — على امتداد تاريخه — فى الهجوم عليه وبيان خطئه •

اتجه المؤلف فى مقارنته بين موقف الاسلام والمسيحية من تحقق الثيوقراطية فى هذا العالم الى أن نفى المسيحية وجودها فى هذه الحياة يعطيه الأمل فى حصولها بعد الموت ، أما اذا تحققت فى هذا العالم — حسب العقيدة الاسلامية — فلا يبقى أمل فى حدوث شىء بعد قيام الساعة ، ونسى أن تطبيق أحكام الله فى هذه الحياة هو وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، واقامة العدل فى الأرض ، كى يمحى الظلم ويقضى على الشر والاثم فى المجتمع ، فينعم الأفراد بحياة ترفرف عليها راية العدل ، وينشر السلام أجنحته فى أرجائها ، وبالاضافة الى هذا ينعمون بسعادة من نوع آخر فى الحياة الأخروية جزاء ما بذلوا من جهد فى الحياة الدنيا لاقامة حكم الله •

أما ما يدعيه من الأمل فى قيام مملكة الله فى الآخرة فهو تصور خيالى ، فلن يوجد فى الآخرة الا الخير ، ومن هنا فليس هناك فائدة فى اقامة مملكة الله بالمعنى المعروف اذ من مقتضيات اقامتها القضاء على الشر ، ولا توجد نوازع شر عند الانسان اذ هى من معالم هذه الحياة الدنيا ، فكان الأولى به أن يقر ويسلم بما يقبله العقل وهو أن الحياة الدنيوية ، بما فيها من صراع بين الخير والشر تقتضى وجود أحكام الله لتكون عونا للخير فى مطاردة الشر ، أما الحياة الأخروية ، ففيها الجزاء لمن أسهم فى الخير والعقاب لمن كان أداة للشر •

٤ — الله فى المسيحية والاسلام :

ان من المسلم به لدى المسلم أنه يعبد الله ، ولكن لا يقبل عقله ، ولا يسلم أبدا بأن الله يضحى بشىء من أجل الانسان ، وأبعد من هذا أن يضحى بابنه ان سلم — على فرض المستحيل — أن له ابنا ، ولهـذا يستنكر ويستقبح تلك الفكرة المسيحية التى تقول بأن الله غفر ذنوب الانسانية بهذه التضحية على خشبة الصليب ويرفضها رفضا باتا ، ويصف القائلين بها بأنهم فى ضلال مبين • نعم ! يوصف الله بأنه غفور ، ولكن غفرانه يتعلق بارادته وحده ، حتى ولو التزم الانسان بأوامر الشرع ونواهيه ، لأن العمل الطيب لا يكون وحده سببا فى غفران الله ، بل لابد من ارادة الله غفران الذنوب ، فلو لم يرد لا تغفر الذنوب ، ولو أكثر الانسان من عمل الصالحات • ولكن المسيحية تتصور الذنوب بصورة أبعد من هذا ، اذ تربط بينها وبين علاقة البعـد عن الله ، التى ورثها الانسان من لدن آدم حتى الآن •

فالله فى الاسلام عادل ، وان كان غفرانه يتجاوز العدل ، اذ يجوز أن يغفر لمن عصاه ، فيتجاوز عما ارتكب من آثام فى حقه تعالى ، ومن هنا فليس للانسان — فى المقام الأول — طريق الى رحمة الله الا ما قدمت يداه من حسنات ، فكل انسان مكلف يعمل ما يوصله الى غفران الله ذنوبه ، ولا يجوز الاعتماد على أحد سواه •

ولهذا يرى المسلم أنه ليس من العدل :

أن يقتص ممن لم يرتكب ذنبا •

وليس من المعقول :

أن عيسى يقبل طائعا تنفيذ هذا الحكم البعيد عن روح العدالة •

•• وتناول المؤلف تبرير هذا الموقف من عيسى — طبقا لمفهوم المسيحيين — ولكنه لم يخرج عن ترديد ادعاءات الكنيسة التى لا يقبلها عقل بشرى • ثم يحاول شرح مفهوم الصلب عند المسيحيين مدعيا أن الله لم يتخل عن عيسى وهو على خشبة الصلب ، لأن عملية الصلب هى تخليص البشرية •

بينما الاسلام ينكر أن المصلوب هو عيسى ، بل شبه لليهود أنهم صلبوه فى حين أن المصلوب كان شخصا آخر غير عيسى عليه السلام •

دار حديث المؤلف فى هذا الباب حول نقطتين رئيسيتين ، خالف فيهما الاسلام المسيحية .

الأولى : بنوة عيسى .

الثانية : صلبه .

وقد وضح القرآن الكريم الرأى فيهما ، فبين أن عيسى عليه السلام لم يكن ابنا لله ، وانما هو عبده ورسوله :

« انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله »(١) ..

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله »(٢) ..

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل »(٣) ..

كما وضح انه لم يصلب ولم يقتل ، وانما شبه لهم ذلك ، فقال تعالى :

« وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »(٤) ..

وكتب علماء الاسلام العديد من الكتب فى توضيح فساد عقيدة المسيحيين فى هاتين النقطتين ، فبينوا فى الأولى أن نسبة البنوة الى الله كانت موجودة فى بعض المجتمعات البشرية قبل المسيحية ، فتأثر بها بعض دعاة المسيحية فى العصر الأولى ، فاعتنقوها ودعوا اليها ، ولما كثر المعارضون لهم استخدموا كل السبل — بما فيها قوة الدولة — لفرضها على المسيحيين ، ونجحوا فى تعقب الداعين الى بشرية عيسى عليه السلام والقضاء عليهم ، فلم يبق فى المجتمع من يستطيع معارضة هذا الرأى — وهو بنوة عيسى الالهية — علانية ، ثم جاءت الأجيال التالية فتعلموها على أنها العقيدة الأصلية التى لا تعارض ، ولا يجوز انكارها والا خرج من المسيحية ، فصارت ذلك عقيدة رسمية تدافع عنها الكنيسة ، فترمى من يعارضها بالكفر والزندقة(٥) .

---

(١) النساء : ١٧١ (٢) النساء ١٧٢

(٣) المائدة : ٧٥ (٤) النساء : ١٥٧

(٥) راجع هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب « بين الاسلام والمسيحية » تحقيق الدكتور محمد شامة — مكتبة وهبة .

أما عن كيفية وقوع الصلب على رجل آخر غير عيسى عليه السلام — مع عدم ادراك اليهود ذلك ، فظلوا على اعتقادهم بأن المصلوب عيسى ولم يكن هو — فقد بين العلماء أن الظروف الملابسة لعملية وقوع الصلب تجيز ذلك ، وتوضيحها كما يلى(١) :

١ — لم يكن عيسى معروفا شخصيا لدى رجال الشرطة التى أمرت بالقبض عليه ولذا أخذوا معهم « يهوذا الاسخريوطى » ليعينه لهم .

٢ — ثبت أن يهوذا ندم على استعداده لمعاونة الشرطة فى تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ ورد لهم المبلغ الذى أخذه منهم .

٣ — يحتمل بناء على هاتين الملاحظتين وهما مذكورتان فى الانجيل نصا — أن : يهوذا أدركته الندامة قبل وصوله مع رجال الشرطة الى المكان الذى كان فيه عيسى مع تلاميذه فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ، ولم ينكر التلميذ رغبة فى انقاذ معلمه فأخذ وصلب .

ولا يرفع هذا الاحتمال ذهاب مريم المجدلية الى القبر واخبارها بقيام عيسى عليه السلام ، لأنها لم تكن مع التلاميذ ، حين ذهبت الشرطة للقبض عليه ولم يخبروها بأن المقبوض عليه ليس عيسى حتى لا ينتشر الخبر ، فتعاود السلطات البحث عن عيسى ، كذلك لم يكذبوها حين روت أنه قام من قبره ، لأن فى ذلك رفعا لشأنه وعاملا قويا لحمل الناس نفسيا على الايمان بالمسيحية(٢) .

وبعد أن يستعرض المؤلف بعض التصورات عن الله فى الاسلام — وخاصة عند الصوفية — ، وفى الكنيسة المسيحية يختم الباب بقوله : « ليس بالشرع يصبح الانسان مسيحيا ، بل بالايمان بالسيد الذى أخذ على عاتقه ذنوب العالم بواسطة التضحية بنفسه والقيامة من القبر فأصبح مخلصهم .

لا يوجد مثل هذا المخلص فى الاسلام ، وهو لا يقبله أيضا ، لأن النهاية بهذه الطريقة — كما يعتقد المسيحيون — اهانة لعظمة الله سبحانه وتعالى ، اذ ينبغى أن ينفرد بالسلطة يمنحها لمن يشاء من عباده .

---

(١) هذا استنتاج من قصة الصلب كما وردت فى الأناجيل ، فليرجع اليها القارىء ان أراد الالمام بجميع جوانب القصة .

(٢) قارن « بين الاسلام والمسيحية » ص ١٩٧

تكريما له • فبين عيسى — كما يتصوره المسيحيون — ومحمد اختلاف كبير وهوة عميقة ، فالأول : كلمة الله صارت انسانا ، أى طبيعة الهية تجسدت فى صورة بشرية • والثانى : نبى أوحى اليه ليبلغ الناس رسالة ربه ، ولهذا فمحور الاسلام هو الكلمة ، التى تعنى العقل والوضوح ، وليس التأملات والتخيلات الميتافيزيقية ، ومن هنا فقد جاء للانسان بأفضل الأديان كلها ••

٥ — التبشير المسيحى :

يقيم الاسلام حو جز ضخمة أمام المسيحية فى كل مكان حل فيه دعاته وعلماؤه وما ذهب اليه القدماء من أن الاسلام يعتبر بالنسبة للشعوب البدائية خطوة أولى ممهدة لاعتناق المسيحية ، فقد أظهر واقع الأحداث التى عاصرها المبشرون خطأه فاعتناق الاسلام يقود الانسان الى الايمان بوحدانية ، لها من القوة على النفوس ما يمكنها من تحصينها ضد الدخول فى المسيحية ، بعد أن صار المرء مسلما •

يختلف الوضع بالنسبة للمسيحية ، اذ الايمان بعيسى هو الطريق الوحيد الى الدخول فيها ، ولكن كيف يستطيع المبشر الوصول اليه ، قد ينجح فى اقناع المرء بأن المسيح هو المخلص للبشرية ، اذا تجنب شرح العلاقة المعقدة بين الله والانسان فى العقيدة المسيحية ، ولهذا يؤثر كثير من المبشرين توجيه دعوتهم الى الشعوب البدائية ، ويتجنبوا دعوة المسلمين الى اعتناق المسيحية ، ويتضح من هذا أنهم يشعرون بالضعف أمام المسلمين ، وليس عندهم ثقة لمواجهة الاسلام مواجهة علنية وصريحة ، خاصة بعد أن أصبح من المؤكد أن المسيحية فقدت كثيرا من قوتها نتيجة تحول مجتمعاتها الى اتباع الأسلوب المدنى فى حل قضاياها فى جميع مجالات الحياة • غير أننا ما زلنا نسمع كثيرا من تبريرات فشل التبشير منها — على سبيل المثال — أنه ليس من السهل حمل المسلم على تغيير دينه بالمسيحية وعليه فلا مجال للبعثات التبشيرية فى البلاد التى نبع فيها الاسلام وهى : الجزيرة العربية ، وسوريا ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، لأنها لن تفلح فيها اطلاقا • أما فى : فارس ، والهند ، وجزر المحيط الهادى ، فقد نجحت فيها البعثات التبشيرية ، الا أن نجاحها كان أقل مما كان متوقعا •

بينما منيت بالفشل جهود البعثات التبشيرية وانكمش الى حد ما انتشار المسيحية ، فقد استطاع الاسلام أن يكسب مركزا قويا لدعاته

فى العهود الأخيرة لأن قبوله للحياة قضى على كل من نافسه • كذلك مكنه استيعابه للأساليب المختلفة فى مجالات الحياة من التغلب على كل تحد ، حتى ولو كان مستندا على خطة محكمة وتدبير منظم •

لم يستطع المبشرون تحقيق قول عيسى :

« اذهبوا الى كل مكان فى العالم ، وعلموا كل الشعوب » ، اذ من الصعب تنفيذها وبخاصة فيما يتعلق بكلمة « كل » •

كان الواجب الأول للبعثات التبشيرية هو تنفيذ هذه الوصية ، أما مسألة أثرها فيمن يدعون الى المسيحية ؛ فمسألة ثانوية • فلولا التضحية الفردية من بعض المبشرين لتعسر انتشار المسيحية أكثر من هذا . ولأصيبت بنكسات متتالية •• فالبروتستانت لا يسعون لتحويل كل الشعوب الى مذهبهم ؛ وان كان دعاتهم ينتشرون فى جميع أنحاء العالم ، فالمسألة تتعلق بالجهود الفردية •

أليس من المحتمل أن يكون سبب تقهقر الكنيسة المسيحية الاعتقاد القديم بالقوة السحرية (الشيطانية) للاسلام ولنبيه ؟ •

كان من الطبيعى أن تختلف الآراء فى الاجابة على هذا السؤال !! •

أصبحت صورة الاسلام فى عصرنا الحاضر — بناء على الأبحاث التى ظهرت حديثا — فى نظر الانسان فى العالم الغربى أفضل مما هى لدى بعض المسلمين أنفسهم • وللأسف فقد سادت صفة اللامبالاة فى المجتمع الغربى نتيجة لهذه المعلومات الجديدة عن الاسلام ؛ بحجة التسامح وعدم التعصب ضد الأديان الأخرى ومما ساعد على انتشار هذا الاتجاه أن الايمان بالمسيح « كمخلص » فقد تأثيره على النفوس فى هذا العصر ؛ واستبدل به محاولة نشر أخلاق المسيح • وبهذا يلتقى هذا الاتجاه مع التعاليم الاسلامية •

يقف الاسلام فى هذا المجال أمام المبشرين محاولا اثبات وجوده على أساس من تمزق المسيحية وضعف عقيدتها ، فهو يرى أن الانجيل قد حرف وبدل ، وأنه — أى الاسلام — جاء لتصحيح ما غيرته الأجيال بعد عيسى فى وحى الله ؛ وأن تعاليمه سوف تنتصر على كل هذه التعاليم ؛ التى أدخلتها أهواء البشرية ؛ فغيرتها وبدلتها •

يعتقد المتفائلون من المسيحيين أن قبول العالم الاسلامى للحضارة

العربية تدريجيا سيحله من التعاليم الاسلامية ويأخذ بزمامه الى المسيحية ، ولكن الواقع يدل على أن المسلمين — حتى الذين مال بهم اتساع مداركهم الثقافية الى التحرر — لم — ولن — يؤمنوا بالمسيحية ، فضلا عن أن جماهير المسلمين يدافعون عن دينهم دفاع المستميت ضد المسيحية ، وخاصة المسيحية بصورتها التى لم تكن أبدا نموذجا يحتذى به •

يستعرض المؤلف ما تعانيه البعثات التبشيرية من الأخطاء التى يرتكبها رؤساؤها — ومنها شعورهم بالتفوق على غيرهم فى حياتهم الدينية — وكذلك من دعية العالم الغربى بأنه متفوق على غيره من المناطق الأخرى فى العالم ، ثم يبين أنه طالما سارت عملية التبشير جنبا الى جنب مع المصالح السياسية فانها تبعد عن روح المسيحية • ولذا فينبغى أن تركز اهتماماتها على العقائد الدينية فقط حتى تتجنب العوائق التى تعرقل سيرها • ثم يختتم هذا الفصل بالحديث عن الأقليات الاسلامية ، فيذهب الى أنه من المستحيل تحويل أحدهم الى المسيحية • لأن من يفعل ذلك يعد خائنا لطائفة المسلمين التى ينتمى اليها • ومن المسلم به أيضا أنه يوجد الترابط الأسرى أو العشيرى أو القبلى الذى يجعل من المستحيل على الفرد أن يخرج عن تقاليد وعقيدة من يرتبط بهم ، والا اصطدم بعقبات لا قبل له بها •

٦ — النشاط التبشيرى فى القرون الماضية :

لم تنشط البعثات التبشيرية فى العالم الاسلامى فى القرون الأخيرة فقط ، بل يمتد نشاطها فى أعماق الماضى الى ما يقرب من ألف عام ، فقد انتشرت المسيحية فى القرن العاشر الميلادى فى البلاد الأوروبية كلها تقريبا ، ثم استطاعت الكنيسة فى هذا التاريخ أن تولى وجهها شطر الأقطار الأخرى خارج القارة الأوروبية وكان أول من خرج مبشرا مجموعة الرهبان من الفرنسيسكان(١) والدومينكان(٢) اذ أرسلوا

---

(١) الفرنسيسكان : رهبانية أسسها القديس فرنسيس الاسيزى (١٢١٠ م) وجعل الفقر أساسا لحياتها • رهبانها فى الشرق هم « حراس الأراضى المقدسة » حطوا بالقدس (١٢٢٩ — ١٢٤٤ م) وفى دمياط (١٢٤٩ — ١٢٥٠) وفى القاهرة (١٣١٠) وفى بيروت (١٤٤٠ م) وفى حلب ١٥٧١ م) وفى طرابلس لبنان (١٥٨٢ م) وفى الناصرة وصيدا (١٦٣٢ م) •

(٢) الدومينيكان : أو الاخوة الواعظون : هم أعضاء الرهبانية التى =

رهبانهم وراهباتهم الى الشرق عن طريق شرق أوروبا ، وقد واصل أفراد منهم رحلته حتى وصل الى الصين ، ولكنهم للأسف اتبعوا طريقة بعيدة كل البعد عن روح الانجيل ؛ فقد أجبروا المسلمين فى البلاد التى خضعت لسلطان الأوروبيين فى الحروب الصليبية على المشاركة فى تأدية الصلوات والطقوس المسيحية ، وسماع الدروس التى كان يلقيها الوعاظ لحمل المسلمين على اعتناق المسيحية •

افتخر الدعاة المسيحيون بكثرة الأعداد التى تحولت الى المسيحية ؛ ولكن معظم الذين اعتنقوا المسيحية لم يعتنقوها عن ايمان صادق ، بل كان اعتناق البعض سطحيا ، والبعض الآخر تقية ، سرعان ما كفروا بها ، اشتهر « فرنسيس الأسيزى »(١) فى هذا الميدان ، وكانه له شجاعة حملته على عدم خشيته السلطان فى نشاطه التبشيرى ، وكان نشـــاطه ظاهرة فريدة فى تاريخ التبشير فى العصر الوسيط ثم أرسل باباوات روما فيما بعد رسلا من الفرنسيسكان والدومينكان الى السلطان لحمله على اعتناق المسيحية ، فاعتبر هذا العمل اهانة للسلطان • أدت الى تعميق الخلاف بين أتباع كلا الدينين ، بعد ما أثبت الطريق المباشر بين العرشين استحالة حمل طرف على اعتناق دين الطرف الآخر •

لاح الأمل للبعثات التبشيرية فى شمال أفريقيا حيث أنشئت مراكز مسيحية للتجارة ، فقد أقاموا كنائس خاصة لهم ، امتد نشاطها فتجاوز رعاية المسيحيين الى محاولة تحويل آخرين الى المسيحية • وكان « ريمون لول »(٢) من أنشط المبشرين فى هذه المنطقة ، فقد حاول انتزاع عطف علماء مسلمين عن طريق المناقشات الدينية ، لأنه كان يرى أنه لو نجح

= أسسها القديس عبد الأحد لدحض البدع (١٢٠٦م) كانوا أرباب التعليم الفلسفى واللاهوتى فى القرون الوسطى • دخلوا البلاد الشرقية فى القرن ١٧ ، أسسوا اكليريكية الموصل (١٨٨٢ م) وكانت لهم فيها مطبعة عربية شهيرة • لهم فى القدس مدرسة الكتاب المقدس •

(١) فرنسيس الاسيزى (١١٨٢ — ١٢٢٦ م) : مؤسس رهبانية الفرنسيسكان وهب نفسه لكنيسته والمسيح ويحكى عنه أنه كان يمتاز بالتواضع وروح البساطة والفرح وحبه للفقر •

(٢) ريمون لول (١٢٣٢ — ١٣١٥ م) راهب فرنسيسكانى • ولد فى « مايورقة » • بشر فى افريقية • عارض فلسفة ابن رشد وشجع تعليم اللغات الشرقية وله مؤلفات بالعربية •

فى تحويل هذا الصنف من الناس الى المسيحية فلسوف يعتنقها كثير من عامة المسلمين • ولكن العلماء كانوا أرسخ فى المناقشات واستخدام الحجج الدامغة ؛ فدافعوا عن دينهم دفاعا قويا ؛ الا أن « لول » لم يعرف الملل فاستمر فى نشاطه حتى قتل فى عام ١٣١٥ م •

سيطر الجدل آنذاك على الجو العام داخل الكنيسة المسيحية ؛ فشوه صورة المسيحيةعند المسلمين ؛ كذلك ساعد انتشار أسلوب اليمينيين المتطرف فى الكنيسة على اعطاء صورة خاطئة عن جوهر المسيحية . كما أخفيت حقيقة المسيح وراء تعصب المبشرين الذى لا يمثل المسيحية •

فالعلاقات التى دفعت الى شن الحروب الصليبية وواكبتها — حيث ارتكبت الرذائل المنافية للمسيحية من وحشية واضطهاد — لم تدع للمسلمين فرصة تقبل المسيحية . ساد الاعتقاد فى معسكرات الصليبيين أن بالامكان جذب المسلمين الى جانب المسيحية عن طريق الاغراء بالمسادة . ولكن الأحداث أثبتت أن هذا الرأى سطحى . وأنهم أخطأوا فى تقدير هيمنة العقيدة الاسلامية على أرواح المسلمين •

ومما يؤسف له أن الرغبة فى استعمال الأساليب القديمة بقيت لدى شعوب دول الاستعمار فى القرون المتأخرة . ففى شرق الهند مارس الهولانديون أساليب الضغط — حتى عام ١٨٠٠ م — لحمل المسلمين على اعتناق المسيحية . وهو أسلوب لم تستعمله البرتغال فى قرنين سابقين على الاستعمار الولاندى • ويخيل للمرء أنهم كانوا يريدون تعويض ما فات البرتغاليون عمله فى ابان سلطتهم التى استمرت قرنا كاملا من الزمن • كذلك من دواعى الأسف أيضا . أنهم منعوا اخوانهم الكاثوليكيين أيضا من اقامة شعائرهم الدينية أمام أعين المسلمين ؛ وأوعزوا اليهم أن يقيموها سرا حتى لا يراهم المسلمون • وظنوا أنهم بمنعهم المسلمين اقامة الصلاة فى المساجد سوف يحلون مشكلة الاسلام التى تواجههم فى هذه المستعمرات .أصدروا قانونا بأن من يضبط من المسلمين يؤدى شعائره الدينية علنا يعاقب عقابا صارما ؛ الا أنهم لم يستطيعوا مقاومة اصرار المسلمين وتصميمهم على الالتزام بأحكام دينهم فاضطروا للسماح لهم بالصلاة فى المسجد والسفر لحج بيت الله الحرام فى مكة •

يستطيع المرء أن يسرد العديد من الأمثلة ، التى توضح الأخطاء التى وقع فيها المبشرون ؛ وكان كل خطأ يؤدى الى نتيجة مؤلمة بالنسبة

للمسيحيين ولم ينتبه لها أحد الا فى القرن التاسع عشر الميلادى حيث أدركوا أخيرا أنه يجب عليهم حصر نشاطهم فى توضيح الانجيل ، ولكن أخطاء الماضى لا زالت تمثل ضغطا شديدا على كاهلهم •

تنتشر بعثات التبشير فى جميع أنحاء العالم ، تدعو الى المحبة والاخوة كذلك لاقت المدارس التى أنشأها المبشرون فى العالم الاسلامى قبول واستحسان المسلمين لأنها تعلم أطفالهم تعليما يجعلهم متفوقين على أقرانهم فى المدارس الوطنية ، وهى فى الوقت نفسه تلقنهم « المبادىء الأخلاقية » كما أصبح للمستشفيات الخاضعة للبعثات التبشيرية تأثيرا كبيرا على نفوس المسلمين ، بما تقوم به من خدمات طبية على أعلى مستوى • وقد برهن كثير من أنواع النشاط الدينى — وخاصة ما يقوم به المسيحيون الأمريكيون — على نجاح حمل المسلمين على قراءة الانجيل ، وتشجيعهم على قراءته لذات القراءة ، وليس لحملهم على تغيير دينهم ، وبالاضافة الى هذا ، فقد استطاعت جمعيات الانجيل — بمساعدة بعض المسلمين المتخصصين — ترجمة الانجيل ونشره ، فاذا ما ذكرت التقارير أن قراءة الانجيل من المسلمين فى ازدياد مستمر ، فانما يرجع ذلك الى مستوى الثقافة وانتشارها فى طبقات المجتمع الاسلامى •

٧ — هل يوجد تقارب ؟ :

عندما يلاحظ المرء العلاقة بين الاسلام والمسيحية فى جوانبها الظاهرية فانه يضطر الى الاعتقاد بأن تحويل المسلم الى المسيحية أسهل من تحويل كافر — مثلا — اليها ، لأن لدى المسلم فكرة عن المسيح عن طريق كتابه المقدس ، ولكن الواقع ينفى هذا الاعتقاد ، لأن المسلم لا يمكن أن يكفر بمحمد ، وهو ما يتطلبه اعتناق المسيحية طبقا لمفهوم الكنيسة ، بينما ظروف الكافر تمكنه من الاتجاه مباشرة الى المسيحية • ولهذا فمهمة المبشرين بين المسلمين صعبة جدا •

واذا اعتقد المرء أن القرب من الحضارة الغربية يعنى فى الوقت نفسه قربا من الكنيسة المسيحية ، فيجب عليه ألا ينسى أن التجارب أكدت أن شك بعض المسلمين فى تراثهم أقرب الى دفعهم الى الزندقة من تحويلهم الى المسيحية ، كذلك عدم الرضا الداخلى بما فى الدين من تعاليم يقودهم الى تبنى دعاوى الاصلاح التى تساير التطور ، والتقدم ، كما يحدث الآن فى الدول الاسلامية الحديثة •

تصطدم دعوة اصلاح الفكر الاسلامى بمعارضة قوية فى العالم الاسلامى ، فليس هناك اتفاق عليها ؛ كما اعتقد بعض المراقبين الأجانب . ومما يدعو الى الأسف أن صفة اللامبالاة ازاء الدين أقرب الى المثقفين من التحول الى المسيحية ، اذ يتحول اهتمامهم الى الجانب العقلى فى العالم الغربى ، والى العلوم الطبيعية الحديثة والى البحوث العلمية ، وأخيرا وليس آخرا الى حرية السلوك فى الحياة الاجتماعية .

ان من المسلم به أن الفكر الاسلامى تأثر — دون وعى — على امتداد القرون الطويلة بأفكار مسيحية ، ولكنه لم يقبلها للتقرب من الدين المسيحى ؛ بل لمجرد استعمال أسلحة مماثلة فى حلبة الصراع الفكرى .

ففكرة تفوق المسيحية بالنسبة للمسلم فكرة خاطئة ؛ كذلك أصبح الحديث — بعد التجربة الاستعمارية — عن تفوق الحضارة المسيحية نادرا ، فقد قضت النزعة القومية النامية ، والشعور بالانتماء العربى على مثل هذه الدعاوى ؛ ويضاف الى هذا موقف المثقفين الذين يعرفون الكثير عن البلاد الغربية ، ويدركون — اعتمادا على تجاربهم — أن تقدم البلاد الغربية سياسيا واقتصاديا وعلميا لا صلة له بالمسيحية .

لقد تسربت فى الرمال آمال بعض المثاليين فى أن القضاء على التناقضات السياسية بين الدول سيقرب المجالات الدينية من بعضها ، لأن تعاليم الدين الجوهرية قد اختفت من العالم الغربى ، ويدعى البعض أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من الاسلام ، وتقوم آمال الجانب المسيحى على أسس غير واقعية أيضا ، اذ يعتقدون أن انهيار الجانب الاسلامى سيكون احدى نتائج الاستقلال ، ولكن ما حدث هو عكس هذا الاعتقاد ، فقد ظهر أن الشعور بالقومية عند بعض الشعوب الاسلامية ، أعطى للدين قوة جديدة ، كما هو مشاهد الآن — على سبيل المثال — فى باكستان ومصر .

يلاحظ المرء مما عرضه المؤلف فى هذا الباب أنه :

يستحث البعثات التبشيرية على تجنب الأخطاء ، التى كانت سببا فى تعثر انتشار المسيحية .

ويركز على الاهتمام بنشر الحضارة الغربية فى العالم الاسلامى لأن تقبلها يخلخل التمسك الشديد بالتراث .

كما يبرز أهمية المدارس الأجنبية فى تربية أطفال المسلمين على الأخلاق المسيحية ، فهى وان لم تتحول الى المسيحية ، فلا أقل من تمزيق أوصال الرباط الذى يربطها بالدين الاسلامى ٠

ونستنتج من هذا الاتجاه أنه ، وان أوهم القارىء فى مقدمة الكتاب أنه لا يبغى الا دراسة الاسلام ، لأنه أصبح القوة الدينية الثانية فى العالم بعد المسيحية الا انه مال الى اسلوب الذين يحذرون من الاسلام ، ويدعون اخوانهم المسيحيين الى اتخاذ كافة الاجراءات الممكنة لمواجهته ، والحد من انتشاره ، وبذلك يكون قد اتفق فى الهدف مع من سبقوه من رجال الكنيسة والمستشرقين ، الا أن أسلوبه فى المواجهة اختلف عن أسلوبهم ٠

فبينما افترى الأولون على الاسلام ، فحاولوا تصويره لأتباعهم بصورة تنفرهم منه ، ودفعوهم الى مواجهته بالقوة ٠

اتبع هو أسلوب عرض عناصر القوة فى الاسلام ، مع بيان النواحى التى يجب على المبشرين العناية بها ليبعدوا المسلمين عن اسلامهم ٠

— فمنهجه عرض ودراسة — وفى معظم جوانبها انصاف للاسلام لم يكن عند الأوالين ٠

— ومنهجهم اتهام وافتراء على الاسلام ٠

— كما أن دعوته الى المواجهة تميل الى تربية وتدبير وتخطيط ، — ويتجنب فيها اظهار العداوة سافرة ، بل تغليفها بستار المودة والمحبة والأخوة والمساعدة بجميع انواعها ٠

وكان طابع خطتهم فى محاربة الاســلام هو القوة فى المجالات العسكرية والاقتصادية ٠

فليت دعاة الاسلام يفهمون ويدركون ، فيخططون ، ويواجهون باسلوب علمى سليم !! ٠

* * *